

## مراجعة معنى المطاوعة في باب الافتعال مع محورية القرآن

محمد حسين ابراهيمي<sup>١</sup> | عليرضا بابايي<sup>٢</sup>

١. طلبة المستوى الأول، حوزة آل ياسين العلمية، قم، إيران. البريد الإلكتروني: mheebrahimi2023@gmail.com  
٢. عضو الهيئة التدريسية في «جامعة المصطفى العالمية»، قم، إيران؛ متخرج المستوى الرابع، الحوزة العلمية، قم، إيران. البريد الإلكتروني: a.babaei.pr@miu.ac.ir

### مخلص

منذ نزول الوحي على النبي الأكرم(ص) كانت من أهم المسائل التي شغلت المسلمين مسألة فهم العبارات القرآنية وتأويلاتها. وتأتي هذه العبارات أحياناً بصيغ مشتقة من جذور واحدة؛ فمثلاً جذر «عَلِمَ» الذي ورد في القرآن بصيغة الأفعال والتفعيل والثلاثي المجرد والصفة المشبهة وغيرها، واختلاف هذه الهيئات يدل على اختلاف معاني كل واحدة من تلك الصيغ. وقد سُرح بعض هذه الفروق في كلام المعصومين(ع)، غير أن كثيراً منها ما يزال مجهولاً. وقد حاول بعض المفسرين، اعتماداً على قواعد العربية، تحويل هذه المجهولات إلى معلومات، لكنهم أحياناً وقعوا في إشكالات بسبب إغفال بعض الدقائق. وهدف هذا البحث دراسة عدد من مواقف المفسرين تجاه اختلاف معاني المشتقات (في مطاوعة باب الافتعال) مقارنة بالهيئات الأخرى في تقارير القرآن. وقد كُتبت هذه المقالة بمنهج وصفي تحليلي، وانتهت إلى أن مطاوعة باب الافتعال تعني تأثر فاعل الفعل الأول بفاعل الفعل الثاني في فعله، وأن استعمال القرآن في جميع المواضع المدروسة كان أدق الأساليب في أداء المقصود.

**الكلمات المفتاحية:** القرآن، التفسير، الصرف، الافتعال، المطاوعة، أبواب الثلاثي المزيد.

## مقدمة

تنوع استعمالات العرب في المقامات المختلفة، واستخدامهم الهيئات الصرفية المتعددة في الجذور نفسها مع ما بينها من فروق دلالية، يدل على فصاحة العربي ودقته في التعبير. وهذه الفروق في الاستعمال تبدو بأحسن صورها في القرآن الكريم؛ إذ يظهر بوضوح أن الله الحكيم لم يلجأ إلى تنوع العبارات عبثاً، بل قصد بذلك الإشارة إلى اختلاف الدلالات بين كل صيغة وأخرى. وفي هذه المقالة جرى السعي إلى الإجابة عن هذا السؤال من خلال دراسة مطاوعة باب الافتعال وبيان اختلافها عن سائر الهيئات الصرفية، مع التركيز على بعض الجذور الواردة في الآيات والروايات: ما المعنى الدقيق للمطاوعة في باب الافتعال؟ وكما ذكر، فإن اختلاف الاستعمالات يؤدي إلى اختلاف المعاني، وإغفال هذه الفروق يوقع في خلط دلالي. ولهذا نجد أن بعض المفسرين، بسبب وجود فراغ معنوي في بعض الآيات، اضطروا إلى تغيير معنى كلمة ما من غير دليل واضح لسد هذا النقص. وكل مفسر حاول حل الإشكال وفق مبناه، مما أدى إلى اختلاف الآراء، بل وإلى العجز عن الوصول إلى معنى دقيق أو الغفلة عن الباطن الدلالي لبعض الألفاظ. فمثلاً في الآية ٢٠ من سورة آل عمران، وبسبب عدم الالتفات إلى المعنى الأصلي للألفاظ، لجأ بعض المفسرين إلى «الإشراب»، وهو خلاف الأصل. ومن جملة المسائل المختلف فيها بين المفسرين واللغويين مسألة المطاوعة، وهي مسألة ذات أثر كبير في فهم معارف القرآن والروايات، غير أنها لم تُبحث بالقدر اللائق، فغاب تبعاً لذلك المقصود الحقيقي للنص القرآني.

وقد تناولت معظم كتب الصرف المشهورة، وبعض كتب النحو، معنى المطاوعة وباب الافتعال. كما ألفت في هذا المجال كتب مثل أفعال المطاوعة واستعمالاتها في القرآن الكريم للدكتور جرجيس العطية، ومقالات مثل بلاغة المطاوعة في القرآن الكريم: دراسة وصفية تحليلية لسهام داوي، و«اصطلاح مطاوعة در ادبيات عرب به چه معناست؟» لحسين شهريارى نسب. غير أن هذه المقالة، بمنهج تفسيري دلالي، تتناول دور المطاوعة في الفهم الدقيق للآيات ومنع الخلط الدلالي، وتبين أن

المطاوعة في باب الافتعال تعبر عن تأثر اختياريّ لفاعل الفعل الثاني بفاعل الفعل الأول؛ وهو معنى لم يُلتفت إليه بما يكفي في الدراسات السابقة.

## ١. المفاهيم

**باب الافتعال:** هو أحد الأبواب المشهورة في الثلاثي المزيد، وتُذكر له معانٍ كثيرة اختلف الأدباء في ثبوتها. وأكثر العلماء يرون أنّ الغالب في استعمال صيغة الافتعال هو معنى المطاوعة في المواضع التي ترد فيها هذه الهيئة من الأفعال. كما ذهب بعضهم إلى أنّ الاتخاذ هو المعنى الأصلي لهذا الباب (ابن يعيش ٢٠٠١م، ج ١، ص ٨١). ولهذا الباب قواعد خاصة في الإعلال والإدغام أشار إليها الصرفيون في كتبهم، وليس هذا موضع تفصيلها.

وقد شرح راجي أسمر في المعجم المفصل باب الافتعال بقوله: إنّ الصرفيين قالوا إنّ «افتعل» يُستعمل غالبًا للمطاوعة. ويرى المجمع أنّ كل فعل كانت فاؤه أحد الحروف «ول م ن ر» يدخل قياسًا في باب الافتعال. وكذلك إذا دخلت أعضاء البدن في هذا الباب دلّ ذلك على حصول التهاب فيها، مثل قولهم: «اكتبد» أي «أصاب كبده» (أسمر، ١٩٩٣م، ج ١، ص ٥٥٤).

ومن معانيه المشهورة الأخرى:

- **الاتخاذ:** «وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي» (طه/٤١) أي: اتّخذته لنفسه
- **التشارك:** «هَذَا نِ حَصْمَانِ احْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ» (الحج/١٩) أي: خاصم بعضهم بعضًا
- **الجهد:** «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» (البقرة/٢٨٦) أي: اجتهد في كسبه
- **الاختيار:** «انتقى الطفل حذاء» أي: اختاره (بابتي: ج ٢، ص ١٠١٨)

• **الطلب**: «لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ» (التوبة/٦٦) أي: لا تطلبوا المعذرة

المطاوعة: بحسب الرأي المشهور، تُعرّف المطاوعة في الأفعال بأنها: «قبول أثر فاعلٍ فعلٍ ما من قِبَلِ فاعلٍ فعلٍ آخر» (حسن، ١٣٦٧هـ.ش، ج.٢، ص.٩٩). وصيغة «افتعل» وإن كانت في بعض الجذور تُشبه في ظاهرها معنى صيغة المجهول «فَعَل»، إلا أنّ التدقيق اللغوي يكشف اختلافاً دلاليًا بينهما. وتأتي المطاوعة في بعض الجذور، مثل «ه د ي»، بمعنى القبول الاختياري لمبدأ الفعل مع إيجاد الشروط والمقتضي له.

ويقول السيرافي في شرح كتاب سيبويه: إن معنى قولنا «مطاوعة» هو أنّ الفاعل لم يتمتع عمّا قصده الفاعل الأول. فمثلاً تقول عند الامتناع: «دفعته فلم يندفع»، «كسرته فلم ينكسر»، أي إن أسباب الكسر وُجدت ولكن الشيء لم ينكسر (السيرافي، ١٤٢٩، ج.٤، ص.٤٤٥).

٢. منهج التطبيق

كما ذكر، يرى الأدباء المشهورون أنّ المطاوعة هي قبول أثر فاعلٍ من فاعلٍ آخر. وفي هذا البحث جرى السعي إلى تطبيق هذا المفهوم على الآيات وبعض الروايات، وبيان الثمرة الدلالية لهذا التحليل. وفي القرآن يُشار أحياناً إلى هذا التأثير على نحو «مجرد قبول الأثر»، وأحياناً أخرى على نحو «إيجاد المقتضي من قِبَل الشخص نفسه». ويظهر هذا المعنى كذلك في كلام شارحي الروايات. وسيأتي بيان كيفية استفادة المفسرين من مفهوم المطاوعة في تفسير الآيات.

وبناءً على هذا المدعى، فعندما يستعمل القرآن صيغة الافتعال للدلالة على المطاوعة، ينبغي البحث عن فعلين وقع بين فاعليهما نوعٌ من التأثير أو قبول الأثر. وبحسب الاستقراء، تقع المطاوعة على صورتين: الأولى: أن يقوم فاعل الفعل مباشرة بقبول أثر الفاعل الآخر. والثانية: أن يكون قبول الأثر على نحو التمهيدي العملي لحدوث التأثير.

هذا العمل بما هو هو يؤدي إلى تقليل أثر الفاعل الأول وتجاهله لغرضٍ ما، وإبراز أثر الفاعل الثاني، وهو ما أدى إلى

تغيّر واختلافٍ في فهم القرآن والروايات؛ والسؤال هو: في مثل هذه الحالة، كيف يمكن الوصول إلى فحوى كلام المتكلم؟

فعلى سبيل المثال، يقول أمير المؤمنين علي(عليه السلام): «ما الدنيا غرّتك ولكن بها اغتررت» (شريف الرضي، ١٣٧٥ش، ص. ١٢٥). ويكتب السيد الخوئي، شارح نهج البلاغة، في ذيل هذه العبارة: «إنه ينبّه الناس إلى أنّ إغراء الدنيا للإنسان ليس علة تامّة لاغتراره، بل هو مجاز عن ضعف عقل الشخص، كما أنّ كل ناقص العقل يُفتن بالدنيا. فلذا أنت الذي تجعل نفسك مفتوناً بها، لا هي التي تفتنك» (هاشمي خويي، ١٣٦٠ق، ج. ١٤، ص. ٢٧٨). أي إنه يُقال أحياناً إنّ الدنيا أغرت الإنسان (غرّتك)، ويُقال أحياناً أخرى إنه مع وجود فعل الدنيا وهو الإغراء، فإنّ الإنسان نفسه هو الذي انخدع بالدنيا (اغتررت). أي إنّ الإنسان كان يمكنه ألا يُفتن، لكنه أراد ذلك (قبل الأثر) فصار مغترّاً.

وفي بعض الآيات توصل المفسرون إلى النتيجة الصحيحة بالاستفادة من هذا المعنى في تفسير الآية، ولكن في بعض المواضع، وبسبب عدم الالتفات إلى هذا الأمر، اضطروا إلى تبني تأويلاتٍ تكلف المفسر والمخاطب معاً. وفي هذه المقالة جرى السعي إلى الاستفادة من كلمات المفسرين الموافقين في تحليل مطاوعة هيئة الافتعال في الآيات، ودُكرت كذلك اختلافاتهم فيما بينهم.

### ٣. التطبيق

في هذا المبحث، ونظراً لضيق المجال، جرى أولاً بحث الحالات المختلفة لجذر «ه د ي» في القرآن بصورة تفصيلية، ثم تُذكر بعد ذلك ملاحظات إجمالية حول بعض الجذور الأخرى التي وردت بصيغة الافتعال في القرآن.

#### ٣/١. تطبيق معنى المطاوعة على جذر «ه د ي»

لقد أشارت آياتٌ متعددة إلى أنّ الأشخاص لم يُهدوا بالكامل بواسطة الله وأوليائه ابتداءً، بل إنهم هم الذين مهّدوا الطريق أولاً، ثم أثر فيهم هدى الله بعد ذلك. وقد عبّر الله تبارك وتعالى عن هذا المضمون بالفعل «اهتدى». وتُعرض فيما يلي شواهد مختلفة توضّح هذا المعنى.

٣/١/١. (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (الزخرف/١٠)

(وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (النحل/١٥)

في كلتا الآيتين يمتن الله على عباده بالنعم التي أنعم بها، فيقول: جعلت لكم الأرض قرارًا، وخلقْتُ لكم فيها طرقًا لتسلكوها وتبحثوا من خلالها عن خالقها (ابن عاشور). ويمكن تفسير رأي ابن عاشور حول معنى «تَهْتَدُونَ» بأنه لو كان مجرد خلق مكانٍ صالح للتفكير، وخلق طرقٍ توصل إلى معرفة الله، كافيًا لهداية الإنسان، لكان ينبغي أن يهتدي الجميع، بل حتى الحيوانات لبلغت السعادة الأبدية، ولما وُجد في الأرض ضالٌّ ولا غير مكلف. ولكن بالوجدان نجد الضالين وغير المكلفين موجودين.

وفيما يلي تُذكر مرة أخرى بعض مصاديق إيجاد المقتضي لتحقيق هذا الأمر بما ينسجم مع مقتضيات مقام الآية. كما يقول الله نفسه: «لعلكم تهتدون»، مع أن بعض الموجودات لا تملك أصلًا ملكة التفكير، وبعضهم الآخر يغلق باب الهداية على نفسه بسبب الاستكبار واللجاج والعناد (وهاتان الطائفتان هما اللتان لا يتفكران)، وبينهما فئة واحدة فقط هي التي تقصد الفهم وتطلب نور التعقل فتبلغ السعادة. ويؤيد هذا المعنى ما ورد في آيات مختلفة من القرآن، مثل قوله تعالى: «أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها». فالسير في الأرض مع التفكير يجعل الإنسان يخضع أمام عظمة خلق الله وسلطانه على العالمين، ولا يعاند هداية الأنبياء.

وأما استعمال «تهتدون» بدل «تهدون» فسببه أن الله تعالى قد أدى دوره في عملية الاهتداء في صدر الآية، ثم ترك بقية الأمر للإنسان نفسه كي يصل إلى الهداية بالتفكير في الخلق؛ ولذلك لم يُسند الفعل إلى الله، ولم يجعل الإنسان نائب فاعل، بل أشار إلى دور الإنسان في التلقي والتأثر.

٣/١/٢ . (إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) (الزمر/٤١)

أي إننا أنزلنا القرآن لجميع الناس، سواء أرادوا الهداية أم لم يريدوا. ومع ذلك، فإن من أوجد المقتضي في نفسه ومال إلى الهداية فقد أحسن إلى نفسه، ومن مال إلى الضلال فإنما يضر نفسه وحدها. وقد ادّعت بعض التفاسير أن الاهتداء يعني

العمل بالكتاب السماوي واتباعه. غير أنّ مضمون الآية يدلّ على أنّ نظام الخلق الأحسن ليس بحيث إذا نزل كتاب على الناس وجب أن يهتدي الجميع قهراً؛ فمع أنّ الكتاب السماوي يمكن أن يكون من العلل الناقصة للهداية التامة، إلاّ أنّه لا يكون أبداً العلة التامة لها، لأنّ الكتاب المكتوب على الرقّ ليس هو الذي يخلق الهداية بذاته. وقد استفاد المفسرون من مطاوعة هذا الفعل بأنّ من ينتفع بما أنزله الله بالحق ويبلغ مراتب منه فإنما ذلك لنفسه، ولا يعود منه نفع على الله ولا على رسوله (طيب، ١٣٧٨، ج ١١، ص ٣١٩). وهذا (عدم النفع والضرر لله في هداية الناس وضلالهم) يجعل إسناد الفعل إلى الإنسان نفسه أقرب، لإبعاد الفاعلية الإلهية عن فعل الهداية في هذا الموضوع.

وبتدقيق أكثر، فإنّ في هذه الآية استعمالاً لأسلوب «الجمع مع التقسيم». إذ حُمِّلَ حكمُ إنزال الكتاب أولاً على «الناس»، ثم قُسِّمَ الناس إلى قسمين: مهتدٍ وضالٍّ، ولكلٍّ منهما حكمه الخاص. ومن خصائص التقسيم الواضحة أنّ الحكم السابق لا يكون شاملاً لجميع الأقسام. وهذا يعني أنّ فعل الهداية بواسطة الكتاب موجه إلى الجميع، لكنّ حصول الهداية بالكتاب لا يقع إلا لبعضهم.

ويؤيد هذا المعنى ما ورد في أوائل القرآن الكريم: (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين). فهذا الكتاب الذي لا شك في صحته هو هداية للمتقين. ولكن من هم المتقون؟ إنّ الله يصف المتقين في آيات متعددة، ويحتاج ذلك إلى بحث مستقل. والمهم هنا أنّ جميع الصفات المذكورة للمتقين هي من الأعمال الصالحة، وأنّ الهداية بالكتاب إنما تكون لمن قام بأعمال جعلته من أهل التقوى، ولمن يبحث عن ضلّته (الهداية الأعلى) في بحر القرآن. ومع صفاء الباطن الناتج عن الاجتناب عن المعاصي وسائر الأعمال الصالحة، يصبح قبول الهداية أيسر. فهذه الأعمال هي المقتضي اللازم للوصول إلى المراتب العليا. وبعبارة أخرى، «المتقون» قيّد لـ «هدى»، والأصل في القيود أن تكون احترازية؛ أي إنّ الهداية لا تُنال إلا في دائرة المتقين. وجميع الصفات المذكورة للمتقين في الآيات اللاحقة هي أفعال.

وفي جملة «فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا» نقاط مهمة:

النقطة الأولى: أن الله يدعو الكافرين من أهل الكتاب وغيرهم إلى أمرٍ ينبغي أن يتحقق قبل الهداية، ليتهيأت قلوبهم لفهم المعاني الروحية السامية، ثم بعد ذلك يُهتدون: «فَقَدِ اهْتَدَوْا». وهذا هو عين تأثر الإنسان بهداية الله. ولو قال: «فقد هُذوا» لكان المعنى مجرّد وقوع الهداية عليهم من غير الإشارة إلى قبولهم لها، ولما أفاد هذا المعنى.

النقطة الثانية: أنّ حول مفهوم فعل «اهتدى» أقوالاً متعددة. فبعضهم يرى أنّ الخروج من الضلال مضمون في «اهتدى» (آلوسي، ١٤١٥، ج. ٢، ص. ١٠٥)، أي إنّ من أسلم لله فقد خرج من الضلال. وبعضهم يرى أنّ المراد من الاهتداء هو الانتفاع للنفس (زمخشري، ١٤٠٧، ج. ١، ص. ٣٤٧)، أي إنّ من انتقل من الضلال إلى الهدى فقد نفع نفسه. وبعضهم يرى أنّ الاهتداء مستعمل في معناه الوضعي الأصلي (طوسي ١٤١٣ق، ج. ٢، ص. ٤٢١). وربما كان سبب اختلاف الأقوال، كما قال الآلوسي، أنّ الإسلام عندهم عين الهداية، فيرون أنّ اتحاد الشرط والجزاء يفسد المعنى ويخرج الجملة من هيئة الشرط. ويبدو أنّه لا حاجة في الآية إلى «الإشراب» في معنى الاهتداء، لأنّ القرائن في الآيات المشابهة تكفي، ومعنى الآية يكتمل باستعمال المطاوعة؛ فالنبي يدعوهم إلى الإسلام، أي إلى الهداية، ثم يسألهم: هل أسلمتم؟ فإن أسلموا فقد قبلوا الهداية. وهذا هو موضع المطاوعة تمامًا.

٣/١/٤ (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا تَهْتَدُوا وَم...

المُبِينُ) (النور/٥٤)

الهداية في هذه الآية معلقة مرة أخرى على عملٍ يقوم به الإنسان، وهو ما يدلّ على حاجة البشر إلى إحياء أرض قلوبهم لتثمر بالخير. ويشير العلامة الطباطبائي في الميزان إلى هذا المعنى بقوله: «إذا أطعتم رسول الله فقد اهتديتم، لأنّ ما يأتيكم به ويأمركم به هو من الله وبأمره، فطاعته طاعة لله، والهداية في طاعته» (طباطبائي، 1390، ج. ١٥، ص. ١٥٠). فالآية تجعل طاعة الرسول علامة على قبول الهداية ومقدّمة لها.

وتأكيدًا للتحليل السابق، فإنّ الإيمان وحده لا يساوي بلوغ الهداية الكاملة. ويشهد لذلك أنّ الآية موجّهة إلى المسلمين أنفسهم (لا إلى الكافرين ولا حتى إلى حديثي الإسلام، مع العلم بأنّ السورة نزلت في القرن الخامس الهجري) (قرشي، ١٣٩١، ج.٧، ص.١٧١)، إذ يقول: بعد أن آمنتم، عليكم بالطاعة. وهذه الطاعة مرحلة من مراحل التقدّم في الهداية. وكذلك في سورة النساء: (يا أيّها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله)، أي إنّ من آمن بالنبي لم يبلغ بعد تمام الهداية.

٣/١/٥. (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَنَّا) (يونس/١٠٨)

وفي هذه الآية، كما في آيات كثيرة أخرى، يبيّن الله أنّ إجبار الناس على الهداية ليس وظيفة النبي ولا عملاً مأموراً به. فكل آية جاء فيها: «ما على الرسول إلاّ البلاغ المبين»، «إنما أنت نذير»، «إنما أنا لكم نذير مبين»، «ليس عليك هداهم»، وغيرها كثير في هذا السياق، تدلّ على أنّ رسول الله نفسه غير مكلف بأن يهدي أحداً قسراً، وأنّ مجرد سماع البلاغ الإلهي لا يجعل الإنسان مهتدياً، بل لا بدّ أن تكون لدى الشخص إرادة لقبول الأثر. وفي مقابل المهتدين، هناك المعاندون.

٣/١/٦. (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة/١٣٧)

كان رؤساء اليهود في مناظرتهم مع رسول الله يقولون: سواء كنتم يهوداً أو نصارى فسئهدون. وبعد المناظرة (التي حاجهم فيها النبي وبلغهم رسالته)، يقول الله: «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا»، أي إنهم إن آمنوا بعد تبليغ الحجة فقد قبلوا هدايتك يقيناً. وإن تولّوا، فليس ذلك إلاّ عناداً. ومن الواضح أنّ الهداية أو عدمها معلّقة بإرادة الأفراد، وأنّ أهمية قبول الأثر فيهم ظاهرة جدّاً.

وفي مقام الاستدلال على أنّ «تأثر الإنسان في أمر الهداية عامل بالغ الأهمية»، يمكن القول: لو كانت مسؤولية هداية جميع البشر ملقاة على عاتق النبي العظيم، لكان ينبغي أن يؤاخذ الله على عدم هداية بعضهم، ويجعل عدم اهتدائهم تقصيراً

منه . لكن الله يقول في مطلع سورة طه : (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى) فينهى النبي عن أن يرهق نفسه في تنفيذ ذلك، أو أن يحزن لعدم قبول بعض الناس، ويبيّن أنّ القرآن تذكرة لمن يخشى، أي لمن يخاف المبدأ والمعاد ويريد النجاة من العذاب والوصول إلى السعادة . فمن أراد الهداية هُدي، ومن لم يُرد: «نرود ميخ آهنين در سنگ» في اللغة الفارسي . ولهذا استعمل الله المطاوعة ليؤدي هذا المعنى العظيم بأدق صورة .

٣١ / ٧ . (وَجَدْتُمَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) (النمل / ٢٤)

وأما في الآية ٢٤ من سورة النمل، فإنّ عامل شقاوة قوم سبأ هو «الشیطان»، إذ زين لهم أعمالهم السيئة . ولما فعل ذلك، جعلهم عمياً عن الهداية وطريق الله، فلم يعودوا يرون حاجة إليها أصلاً (لأنهم وجدوا أنفسهم على الحق والصواب) . وبهذا الفعل أغلق عليهم طريق الصراط المستقيم: (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) . فلم يميلوا نحو السعادة الأبدية، وبقوا في الضلال والغي . وكانت النتيجة أنهم لم يستطيعوا أن يهاجروا في الأرض طلباً للهداية، ولم يُهدوا . لأنّ بصيص الهداية لا يظهر إلا لمن يبذل ولو مقداراً يسيراً من الجهد للوصول إليها، لا لمن لا يرى أعماله فاسدة ولا يريد التوبة، بل يعتقد أنه على الحق . فالنتيجة أنّ الشيطان منع تأثير الهداية الإلهية فيهم، ولذلك يقول الله: (لَا يَهْتَدُونَ) أي لم يقبلوا الأثر .

ومن جهة أخرى، فإنّ الشيطان لا يستطيع أن يجزّ أحداً إلى الضلال قسراً، كما يقول القرآن: إنّ الشيطان يوم القيامة يقول للمعدّبين: لم يكن لي عليكم من سلطان، بل أتم قبلتم دعوتي . أي إنّ الناس هم الذين وقعوا أنفسهم في الضلال . وهذا يشمل هذه الآية أيضاً؛ فالشيطان لم يكن هو السبب المباشر في عدم اهتداء قوم سبأ، بل هم الذين فتحوا له باب النفوذ ليؤثّر فيهم . ويمكن فهم المطاوعة هنا من جهة «تهيئة المجال للشيطان» [الأمر الذي انتهى إلى منعهم من السير نحو الهداية]، وإن لم يُذكر ذلك صراحة في الآية . فالشيطان لم يخدعهم قسراً، بل هم الذين سلطوه على أنفسهم حتى يقودهم إلى الضلال .

٣/١/٨ . (وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) (المائدة/١٠٤)

يرى أكثر المفسرين أنّ ضمير «هم» في قوله: (إِذَا قِيلَ لَهُمْ) يعود إلى المشركين والكفار. فعندما يقول لهم رسول الله: ارجعوا إلى هداية الله وفطرتكم، يجعلون آباءهم قدوة لهم، ويزعمون أنهم على دين آبائهم. فيردّ النبي بأنّ آباءهم لم يكونوا يعلمون شيئاً ولم يكونوا مهتدين.

ومثل هذه الآية آية ١٧٠ من سورة البقرة، التي مضمونها: «إن أردتم الهداية فعليكم بالتعقل». ولأجل التعقل لا بدّ من العلم ومعرفة المعقول. ولأنّ الوصول إلى الكمالات الاختيارية، وخاصة التعقل، متوقف على العلم بها (مصباح يزدي، ١٣٨٥، ص. ٢١)، فإنّ آباء المشركين لم ينالوا نصيباً من الهداية، وأبناؤهم أيضاً، بوصفهم متبعين ومقلّدين لهم، يبقون في الضلال. وبالوجدان، فإنّ نتيجة التعقل المذكور في الآية يجب أن تكون عملاً، وهذا العمل هو الذي يجعل هداية الله تؤثر في الإنسان (وإلا فما فائدة التفكير بلا نتيجة ولا حركة؟). وظاهر الآية أنّ التعقل والاهتداء قد عُطف أحدهما على الآخر، ولو لم يكن بينهما علاقة السببية لما ذُكرا في جملتين متعاطفتين. وهذا العطف في الحقيقة هو عطف السبب على المسبّب.

وإن قيل: «قد تكون الواو في قوله: لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ للعطف التفسيري (أي إنّ التعقل والهداية شيء واحد)»، فالجواب: إنّ الآيات التي ذُكرت في هذا البحث يظهر فيها أنّ أموراً أخرى غير التعقل والعلم قد عُطف على الهداية، ولا يمكن القول إنّ جميعها متطابقة من حيث المعنى حتى يكون العطف تفسيريًا.

٣/١/٩ . (وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) (طه/٨٢)

لعلّ أدقّ آية لإثبات النظرية المطروحة هي هذه الآية من سورة طه، لأنّ الله بيّن فيها لمن يجعل مغفرته، ثم في المرحلة الأخيرة يستعمل «اهتدى» بدل «هُدِي». وقد ذكر المفسرون ستة تقديرات وتفسيرات لهذه الجملة (ماوردي، ١٤١٢ق، ج. ٣،

ص. ٤١٦)، وأقواها أنّ المراد من «اهتدى» هو «استقام على الهدى» وما يشبهه (جرجاني، ١٤٣٠ق، ج. ٢، ص. ٢٩٣). فالمعنى: «إني كثير المغفرة لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم بقي ثابتًا على هدايته» (أنصاريان، ١٣٨٣، ص. ٥٢).

ويقال إنّ هذا الاستمرار مستفاد من استعمال «اهتدى» بصيغة الماضي، لأنّ الماضي يدل على تحقق الوقوع، فيُفهم منه الثبات. أي إنّ الشخص قد أوجد مقتضى الهداية العليا، وبقي ثابتًا عليه حتى تحققت الهداية، فلم يشك في إيمانه، ومات على ذلك (ابن عطية، ١٤٢٢، ج. ٤، ص. ٥٧).

ومعنى المطاوعة في باب الافتعال، مع سياق الآية، يبيّن الدور المحوري للإنسان في الهداية. فالهداية ليست فقط مرتبطة بإرادة الإنسان، بل حتى الثبات على الهداية هو أيضًا ثمرة سعيه وجهده.

ابن عطية يرى في هذه الآية أنّ الهداية هي الإيمان المقرون بالعمل، وهذا العمل واحد من تلك العبارات والأفعال المتعدّدة (كعدم الشك، والثبات على الهداية، ونحو ذلك) التي ذُكرت لهذا الفعل، وأكثر التفاسير تدلّ على معنى واحد أشير إلى بعضه سابقًا. وبناءً على ما تقدّم، ينبغي التنبيه إلى أنّ الإيمان والتوبة والأعمال الصالحة ونحوها ليست «تمام الهداية»، بل هي كلّها شروط ومقدمات للهداية الحقيقية.

١٠/٣. (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (القلم/٧)

في القرآن الكريم، عندما يُذكر الضلال وتكون الآية في مقام بيان صفة الصالحين، يُذكر دائمًا في مقابلهم «المهتدون»<sup>١</sup>. ولكن عند التأمل في معنى الضلال الذي يقابل الهداية في القرآن، يتبيّن أنّ الضلال في الحقيقة سلسلة من الأفعال التي تؤدي إلى الغواية. فمثلًا في الآية التي تقول: «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» (نساء/١١٦)، جعل الله الضلال هو الشرك وفعله وعبادة الأصنام، ولم يحصره في مجرد عدم قبول الهداية. وفي آية أخرى امر الله تعالى رسوله: «بگو من از هوسهای شما

<sup>١</sup> - يونس/١٠٨، زمر/٤١، انعام/١١٧ و...

تبعيت نمی کنم که اگر چنین کنم گمراه شده ام و از هدایت یافتگان نخواهم بود»<sup>۲</sup> (آدینه‌وند لرستانی، ۱۳۷۷ش، ص. ۱۳۴).  
والعرب في استعمالاتها تجعل التبعية للأفعال (ابن منظور، ۱۴۱۴ق، ج. ۸، ص. ۲۷)، والله هنا جعل مقدمة الضلال أفعالاً تُفعل  
باتباع المشركين، ونهى النبي عن فعلها، واعتبر من يفعلها من غير المهتدين.

وفي آية أخرى يقول: «إي اهل ايمان، شما (ايمان) خود را محکم نگاه داريد، که اگر همه عالم گمراه شوند و شما  
به راه هدایت باشيد زيانی از آنها به شما نرسد.» (الهی قمشاهی، ۱۳۸۰ش، ص. ۱۲۵). فلماذا يجب أن يكون من لم يقبل الهداية  
فقط، من غير أن يقوم بفعل عدائي تجاه الهداية أو تجاه خداوند، مصدر ضرر للمؤمنين حتى يحذرهم الله منه؟ من الضروري  
التذكير بأن الله قد جعل الضلال - وهو بحسب ما تقدم فعلٌ غير مجرد من عدم قبول الهداية - في مقابل الهداية، في حين أن  
المفسرين يزعمون أن الاهتداء هو مجرد قبول الهداية، مع أن الضلال ليس مجرد عدم القبول، بل هو القيام بفعلٍ يخالف إرادة  
الله. أمّا وفقاً لمعنى المطاوعة، فالمفهوم الذي يصدره فعل «اهتدى» أبلغ من المعنى الذي ذكره المفسرون في تفاسيرهم  
وترجماتهم، وهو «تهيئة المقتضي لقبول أثر الفاعل».

### ۳/۲ . استعمال «ه د ي» في صيغة الثلاثي المجرد

«هَدَى» في صيغة المعلوم والثلاثي المجرد يعني «أرشد وهدى»، وفي صيغة المجهول يعني «هَدَيْ» . ومن غير أي قيد آخر، يمكن  
استنتاج أغراضٍ من مجرد الالتفات أو عدم الالتفات إلى هذا الفعل. وفي طائفة من الآيات التي استعملت فيها هذه الصيغة لهذا  
الجزر، تُحلّل الدوافع المحتملة لهذا النوع من الاستعمال:

۳/۲/۱ . (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ

الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) (الأنبياء/ ۷۳)

<sup>۲</sup> قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (انعام/ ۵۶)

إنّ سورة الأنبياء تعرض في الجملة قصص الأنبياء، غير أنّ هذه الآية والآية التي قبلها تتناولان على وجه الخصوص إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وتذكران صفاتهم. وأمّا سبب استعمال الفعل الثلاثي المجرد «يَهْتَدُونَ» دون «يَهْتَدُونَ» أو صيغة المجهول، فهو أنّ القرآن إنما جاء هنا لبيان صفات هؤلاء الأنبياء العظام، لا لبيان حال الناس في قبول هدايتهم أو ردّها. وبالنظر إلى المعنى الغالب لصيغة الافتعال الذي تقدّم في أول البحث، لو استعمل «يَهْتَدُونَ» لكان ذلك دالاً على أنّ «تأثّر المفعول بالفاعل» هو المقصود، وهو خلاف المراد هنا. وكذلك لو قيل: «هُدِيَ النَّاسُ بِهِمْ» لكان لا بدّ من جعل «الناس» نائب فاعل، وفي ذلك إبراز لدورهم، وهو غير مقصود في مقام بيان صفات الأنبياء.

٣/٢/٢. (وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ

الهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (فصلت/١٧)

تشير الآية إلى قصة عدم اهتداء قوم ثمود. واللافت أنّ الله يقول: (فَهَدَيْنَاهُمْ) مع أنّ القرآن والروايات والتواريخ تشهد بأنّ ثمود قد أهلكوا بالعذاب. ثم يقول: (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ)، أي: مع أنّنا أُرشدناهم، فقد آثروا الضلال على الهدى (ابن عاشور، ١٤٢٠ق، ج. ٢٤، ص ٢٦٢). ومقتضى المقام - مع ذكر قصة صالح وثمرود ثم عذابهم - أن يبيّن الله أنّه أرسل إليهم رسولاً يدعوهم، وأنّ الرسول أذى وظيفته، ولكنهم هم الذين لم يريدوا الهداية، وهو ما تشهد له القرائن اللفظية في هذه الآية وسائر الآيات.

ولو قيل: «اهْتَدَوْا» لكان ذلك مخالفاً للمقام؛ لأنّ المطاوعة تدلّ على «قبول الأثر بتبعية مقتضى الهداية»، وهم لم يفعلوا ذلك. ثم إنّ استعمال «اهْتَدَوْا» كان سيبرز دور قوم ثمود في تحصيل الهداية، مع أنّ الهداية لم تقع أصلاً حتى يُشار إلى دورهم فيها. وقد أشار الجرجاني في درج الدرر إجمالاً إلى أنّ لا اهتداء ولا إرشاد قد حصل (جرجاني، ١٤٣٠، ج. ٢، ص ٥٤٥).

٣/٢/٣. (ذَلِكِ بَأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرُ يَلْهُدُونَنَا فَكَفَرُوا وَ تَوَلَّوْا وَ

اسْتَعْنَى اللَّهُ وَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (التغابن/٦)

يقول الكافرون: (أَبَشِّرْ يَهُودَنَا)، وما يظهر من سياق الآية أنهم في مقام الاعتراض على «كون الرسالة في صورة بشر». وفي هذا المقام، لم يكن يعينهم هل هذا البشر قادر على هدايتهم وإيصالهم إلى الجنة أم لا (من جهة التعدية)، كما لم يكن يعينهم هل هم مستعدون لتهيئة مقتضى قبول الهداية (من جهة المطاوعة)، بل كان غرضهم مجرد الرد على دعوة الرسول وإنكار رسالته. وبناءً على ذلك، لم يكن لمصدر «الاهتداء» موضع هنا، وجاء التعبير بالفعل الثلاثي المجرد هو الأبلغ والأوفق بالمقام.

٣/٢/٤. (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (يونس/٣٥)

في هذه الآية يريد الله أن يشي للمشركين أن تلك الأحجار والأخشاب التي يعبدونها ليست هادية ولا تملك شيئاً من الهداية. فيقول لهم: هل من شركائكم من يهدي إلى الحق؟ بل الله وحده هو الذي يهدي إلى الحق. فمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع، أم من لا يهدي أصلاً، بل يحتاج هو نفسه إلى من يهديه؟ ولذلك، لما كان الحديث عن الأصنام، استعمل الفعل المبني للمجهول، ولم يستعمل «اهتدى». فالأصنام لا تملك ملكة الهداية. لأنّ الاهتداء - كما تكرر بيانه - يقتضي دوراً للمهتدي في تهيئة مقتضى الهداية، وهذا ممتنع في حق الجمادات التي لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرراً. فجاء التعبير بالمجهول في مقام تحقيرها: فهي لا تهدي، بل تحتاج إلى من يهديها، وهذا أبلغ ما يكون في هذا السياق.

٣/٢/٥. (وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ) (آل عمران/١٠١)

في هذه الآية، يوبخ الله المؤمنين الذين خدعوا بأهل الكتاب، فيقول: كيف تكفرون، والآيات تُلَىٰ عليكم، ورسولكم بين أظهركم، ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم؟ إن الله في مقام العتاب بسبب كثرة الوسائط الداعية إلى الهداية، وقلة انتفاع الناس بها. وفي مقام بيان هذه الوسائط، تكون أسباب الهداية أعظم شأنًا في نظر المتكلم، ولذلك يُخَفَّفُ التركيز على

دور الإنسان، ويُبرز جانب الهداية الإلهية. ومن شواهد ذلك استعمال المبني للمجهول في «تُتلى» و«هُدي»، مما يناسب مقام التويخ وبيان تقصير المخاطبين.

### ٣/٣. تحليل لاستعمالات أخرى للمطاوعة في باب الافعال

قد تقدّم بيان المدعى وتطبيقه وتحليله تفصيلاً في جذر «ه دي»، ويكتفى هنا بذكر بعض الجذور الأخرى بصورة موجزة.

«الْمُؤْمِنُ إِذَا وُعِظَ ارْتَدَّ جَرَّ، وَإِذَا حُدِّرَ حَلَرَّ، وَإِذَا عُبِّرَ اعْتَبَرَ، وَإِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ، وَإِذَا ظَلِمَ غَفَرَ.» ٣/٣/١

وقد كتب جمال الدين الخوانساري في بيان الفرق بين «عُبِّرَ» و«اعتبر» ما نصّه: إنّه إذا وُعِظَ بأمرٍ فيه خيره، من فعل

معروف أو ترك منكر، اتعظ وعمل به (آقا جمال خوانساري، ١٣٦٦، ج ٢، ص ١٢٨). وبهذا يظهر بوضوح أنّ أمير المؤمنين عليه السلام، حين أراد نقل الفعل من الفاعل إلى المفعول، استعمل صيغة المطاوعة، فدلّ على قبول الأثر والعمل به.

٣/٣/٢. (لَيْسَ عَلَى الدِّينِ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَ

عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)

(المائدة/٩٣)

هذه الآية نزلت في المسلمين الذين كانوا يشربون الخمر ويقامرون قبل تحريمها، ثم أرادوا أن يستفهموا من رسول الله

صلى الله عليه وآله عن حكم ما مضى منهم. فجاء الأمر الإلهي بأن لا حرج عليهم فيما سبق، بشرط أن يتقوا ويستمروا على

التقوى. وهذا يفهم من استعمال الفعل «اتَّقَوْا» بصيغة الماضي، ومن تكراره ثلاث مرات، وهو ما يدلّ على تحقّق الوقوع وأهمية

الاستمرار. وقد ورد في بعض التفاسير ما يؤيد هذا المعنى (أبو حيّان، ١٤٢٠ق، ج ٤، ص ١١٩). وهذه التقوى والاستقامة عليها

تمثّل عين الإرادة وقبول الأثر من الفاعل الآخر.

٣/٣/٣. (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَرِزُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ

حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ

الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة/٢٢٢)

في هذه الآية نُهيّ الرجال المؤمنون عن مقارنة نساءهم في حال الحيض، وجاء النهي بصيغة الأمر: (فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ).  
وأما سبب هذا الاعتزال، فهو أنّ الله هو الذي عزلهم عن ذلك، إذ منعهم من المقاربة. غير أنّ هذا الاعتزال ليس ناشئاً عن الأمر الإلهي وحده، بل هو متوقّف أيضاً على إرادة الشخص الذي آمن، وسأل عن الحكم، ثم امتثل. فاعتزالهم قد يكون معلولاً لأيّ من هذه الأفعال، وأقواها كونه معلولاً لأمر الله أو لإرادة العبد. وبعبارة أبسط: إنّ الله يقول لهم إنّ إيمانكم يقتضي أن تتأثروا بأمرى وتطيعوه. وللإشارة إلى هذا القبول للأثر، استعملت صيغة «اعتزال» من باب الافتعال.

٣/٣/٤. (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ) (الرحمن/٣٥)

في سورة الرحمن يخاطب الله الجنّ والإنس، ويذكر نعمه وعقابه. وفي هذا الموضع يشير إلى عذاب جهنّم، فيقول: إنّ لهباً بلا دخان ودخاناً متراكماً سيُرسل عليهم، ولن يستطيعوا أن يطلبوا النصرة من أحد. وعدم قدرتهم على الاستنصار إنما هو بسبب ذنوبهم الماضية التي اقترفوها، والتي يرون أثرها الآن في صورة العذاب. فمقدّمة عدم النصرة هي وجودهم في النار بسبب أعمالهم، وهذه الأعمال تُعدّ مقتضياً لعدم حصول النصرة.  
وفيما يتعلّق بكون الذنوب مقتضياً لعدم النصرة، فإنّ الأفعال التي تُذكر في القرآن ليست دائماً هي نفس مضمون الفعل، بل قد تكون مقدّمات له. وقد تقدّم أنّ لله تعالى غرضاً بلاغياً في تنويع الأساليب، وأنّ المفسّر إذا لم يلتفت إلى المطاوعة، واضطرّ إلى تفسير الفعل على أساس الثلاثي المجرد، فسيُسأل: ما وجه استعمال هذا الجذر في باب الافتعال هنا؟

٣/٣/٥. (إِذَا فَصِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ) (الجمعة/١٠)

اختلف المفسّرون في معنى «فانتشروا» في هذه الآية. وأقوى الاحتمالات أنّ الانتشار إمّا مستعملٌ بمعناه في الثلاثي المجرد، أي مطلق التفرّق، أو أنّ فيه معنى المطاوعة. فإذا أمكن حمل «الانتشار» هنا على المطاوعة، كانت النتيجة أنّ مقتضى الانتشار - في يوم الجمعة، وبالنظر إلى التأكيد الشديد الذي ورد في الآيات قبلها وبعدها بشأن خطورة أمر صلاة الجمعة - هو

إقامة صلاة الجمعة نفسها، ثم بعد ذلك يجوز للمؤمنين أن يطلبوا الرزق ويبتغوا من فضل الله (الطباطبائي، ١٣٩٠ق، ج. ١٩، ص. ٢٧٤). ومن جهة أخرى، فإنّ هذا الانتشار معلولٌ ومأثورٌ عن أمر الله، وعن كونه تعالى العلة التامة لجميع حركات المخلوقات وسكناتهم؛ أي إنّ الناس ينتشرون في الأرض لطلب الرزق لأنّ الله هو الذي نشرهم، وأذن لهم في ذلك بعد أداء الصلاة.

النسخة ما قبل الإصدار (غير المنقحة)

## النتيجة

بما أنّ المطاوعة تعني «تأثر الفاعل في فعله بفاعلٍ آخر»، يمكن الوصول في هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١. إنّ الله تعالى في القرآن أراد بيان معانٍ متعدّدة للجذور اللغوية، وكان أحد هذه المعاني هو «التأثر»، وقد أظهره في بعض المواضع بصيغة المطاوعة في باب الافتعال.
٢. إنّ التأثر في المطاوعة قد يأتي في القرآن على صورتين: **إمّا** على نحو «قبول الأثر» مباشرة، **وإمّا** على نحو «تهيئة المقتضي لقبول الأثر» وخلق الأرضية المناسبة له.
٣. وقد تبين في جذر «ه دي» أنّ الهداية ذات مراحل: أوّلها تبليغ النبي للمباني الدينية، ثم قبول الإنسان للهداية، ثم تحقّق الهداية الفعلية من الله تعالى. وقد كان مقتضى المقام في بعض المواضع أن يُشار إلى المرحلة الأولى، فامتنع القرآن عن استعمال المطاوعة، بينما اقتضى المقام في مواضع أخرى استعمال المطاوعة لبيان أهمية إرادة الإنسان واختياره في المرحلة الثانية من الهداية.

## منابع

١. القرآن الكريم .
٢. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤هـ.ق)، لسان العرب، (الطبعة الثالثة). بيروت: دارالفكر
٣. ابن يعيش أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلبي، الدكتور إميل بديع يعقوب (١٤٢٢هـ.ق)، شرح المفصل للزمخشري، (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.
٤. ابن عاشور، محمد الطاهر (١٤٢٠هـ.ق)، تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، (الطبعة الأولى). بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.
٥. ابن عطية، عبد الحق بن غالب (١٤٢٢هـ.ق)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.
٦. أبو حيان، محمد بن يوسف (١٤٢٠هـ.ق)، البحر المحيط في التفسير، (الطبعة الأولى) بيروت: دار الفكر.
٧. أسمر، راجي (١٤١٣هـ.ق)، المعجم المفصل في علم الصرف (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.
٨. انصاريان، حسين (١٣٨٣هـ.ش)، ترجمة القرآن (انصاريان)، (الطبعة الأولى). قم: أسوة.
٩. آدينهوند اللرستاني، محمد رضا (١٣٧٧هـ.ش)، كلمة الله العليا (الطبعة الأولى). طهران: أسوة
١٠. آلوسي، محمود بن عبد الله (١٤١٥هـ.ق)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.
١١. بابتي، عزيزة فوال (١٤١٧هـ.ق)، المعجم المفصل في النحو العربي (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢. حسن، عباس (١٣٦٧هـ.ش)، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة (الطبعة الثالثة)، طهران: ناصر خسرو.
١٣. حسن زاده آملی، حسن، كمره اي، محمد باقر، علي بن أبي طالب (ع)، الإمام الأول، خويي، حبيب الله بن محمد، و ميانجي، إبراهيم (١٣٦٠هـ.ش) منهاج البراعة (خويي) (الطبعة الرابعة)، طهران: مكتبة الإسلامية.
١٤. جرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (١٤٣٠هـ.ق)، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (الطبعة الأولى)، عمان: دار الفكر
١٥. خوانساري، آقا جمال (١٣٦٦هـ.ش)، شرح آقا جمال خوانساري على غرر الحكم ودرر الكلم (الطبعة الرابعة)، طهران: جامعه طهران
١٦. راغب الأصفهاني، حسين بن محمد (١٣٧٤هـ.ش)، ترجمة وتحقيق مفردات ألفاظ القرآن (الطبعة الثانية)، طهران: مرتضوى
١٧. زمخشري، محمود بن عمر، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، أحمد، مصطفى حسين، ابن منير، أحمد بن محمد، مرزوقي، محمد عليان، ومذكور، محمد عليان (١٤٠٧هـ.ق)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل (الطبعة الثالثة). بيروت: دار الكتاب العربي.
١٨. سيرافي، حسن بن عبد الله (١٤٢٩هـ.ق)، شرح كتاب سيبويه (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٩. شريف الرضي، محمد بن حسين (١٣٧٥هـ.ش)، نهج البلاغة (للصبي صالح)، (الطبعة الأولى). تهران: دار الكتب العلمية
٢٠. صبان، محمد بن علي (١٤١٧هـ.ق)، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني (الطبعة الأولى)، بيروت: المكتبة العصرية.
٢١. طباطبائي، محمد حسين (١٣٩٠هـ.ق)، الميزان في تفسير القرآن (الطبعة الثانية). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٢٢. طوسي، محمد بن حسن (١٤١٣هـ.ق)، التبيان في تفسير القرآن (الطبعة الأولى). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٣. طيب، عبد الحسين (١٣٧٨هـ.ش)، أطيّب البيان في تفسير القرآن (الطبعة الثانية)، طهران: الإسلام.
٢٤. فراء، يحيى بن زياد (١٩٨٠م)، معاني القرآن (فراء) (الطبعة الثانية)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٥. قرشي بناجي، سيد علي أكبر (١٣٩١هـ.ش)، تفسير أحسن الحديث (الطبعة الأولى) قم: دفتر نشر نويد الإسلام
٢٦. قرشي بناجي، سيد علي أكبر (١٤١٢هـ)، قاموس القرآن (الطبعة السادسة)، طهران: دارالكتب الاسلاميه.
٢٧. إلهي قمشهاي، مهدي (١٣٨٠هـ.ش)، ترجمة القرآن (إلهي قمشهاي) (الطبعة الثانية). قم: فاطمة الزهراء.
٢٨. ماوردي، علي بن محمد (١٤١٢هـ)، النكت والعيون تفسير الماوردي (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.
٢٩. محمدي باميانى، غلام علي (١٤٢٩هـ.ق)، دروس في البلاغة (شرح مختصر المعاني للتفتازاني) (الطبعة الأولى)، بيروت: مؤسسة البلاغ،.
٣٠. مصباح يزدي، محمد تقى (١٣٨٥هـ.ش)، خودشناسي براي خودسازي (الطبعة الثانية عشرة)، قم: مركز انتشارات مؤسسة الإمام الخميني (قده).
٣١. يعقوب، إميل (١٣٦٧هـ.ش)، موسوعة النحو والصرف والإعراب (الطبعة الأولى). بيروت: دار العلم للملايين.